

## سورة الدخان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ (12)

### شرح الكلمات:

**ربنا اكشف عنا العذاب:** أي يا ربنا إن كشفت عنا العذاب آما بك وبرسولك.

### المعنى الإجمالي :

فانتظر -أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم تأتي السماء بدخان مبين واضح يعيهم الناس، ويقال لهم: هذا عذاب مؤلم موجه، ثم يقولون سائلين رفعه وكشفه عنهم: ربنا اكشف عنا العذاب، فإن كشفته عنا فإننا مؤمنون بك.

أن الكافرين الذين يصيهم ذلك الجهد يضرعون إلى ربهم بمسئلتهم إياه كشف ذلك الجهد عنهم.

قال ابن كثير في تفسير الآية : أي يقول الكافرون إذا غابوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم . اهـ.

و يجوز أن يدعو بهذا الدعاء إذا لم يترتب عليه تركية النفس ومدحها ، وكان ذلك في محله .

وقد يأتي العذاب عقوبة لصاحب المعصية أو لأهلها ليكونوا عبرة وعظة لمن بعدهم كما فعل الله بالأمم السابقة والسعيد من وعظ بغيره، ولكن من رحمة الله بنا أن الله لا يهلك أمة محمد ﷺ وآله وسلم بعذاب عام فعن سعد رضي الله عنه قال: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألت أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها ،

وسألت أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها».

قَدْ يُنَزِّلُ اللَّهُ نِقْمَتَهُ بِأَنَاسٍ فِيهِمْ الْحَيِّثُ وَالطَّيِّبُ فَتَعْمُ هَذِهِ النِّقْمَةُ، لَكِنَّ هَذِهِ النِّقْمَةَ بِالنِّسَبَةِ لِلطَّيِّبِينَ كَقَارَاتِ ذُنُوبٍ وَرَفَعُ دَرَجَاتٍ وَلَيْسَ سَخَطًا عَلَيْهِمْ. وقد جعل الله العقوبة للأمم الكافرة سنة له في خلقه، فقال: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر:43]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكاهم من الأمم وقد جاءت الآيات تتوعد الأمم الكافرة بسنة الله الماضية في أهل الشرك والكفر {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَمَةِ} [الإسراء:58].

**من أسباب هذه العقوبات التي ينزلها الله بالناس ما يلي:**

1- استضعاف العباد وظلمهم؛ قال-تعالى-: {وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا} الكهف(59).

2- ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو التقصير في القيام به.

3- العتو والكبر والغرور.

4- كفران النعم.

5- الظلم والكفر.

6- الغلو في الدين.

7- التنافس في الدنيا والشح بما فيها.

**الأسباب التي - مشيئته - يرفع الله بها بلاءً كتبه عليه أو يخففه عنه بهذه الأسباب .. ومن هذه الأسباب وأهمها :**

1- التقوى :ومعنى التقوى كما هو معروف : هو فعل أوامر الله واجتناب معاصيه الظاهرة والباطنة ومراقبة الله في السر والعلن في كل عمل.

2- أعمال البر (كالإحسان إلى الخلق بجميع صوره)،

3- الدعاء من أنفع الأدوية ، وهو عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه ، ويمنع نزوله ، ويرفعه أو يخففه إذا نزل ، وهو سلاح المؤمن.

4- الإكثار من الاستغفار والذكر.

5- الإقلاع عن المعاصي والتوبة الصادقة إلى الله.

6- البعد عن المال الحرام، ومن أعظمه الربا.

7- إخراج الزكاة في وقتها، وهي الركن الثالث من أركان الإسلام.

8- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

9- رفع الظلم ونشر العدل وإعطاء الحقوق إلى أهلها.

10- عدم الغرور والعجب والتفاخر والتكبر والتعالي على الخلق.

**متى يكون العذاب خاصا، ومتى يكون عاما؟!**

**وإذا وقعت العقوبة شملت الصالح والطالح،**

**والحسن والمسيء، فما مصير الصالح؟.**

إن الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة، والأمر الرشيد، حكمه العدل، وقوله الحق، حرم الظلم على نفسه، وجعله بيننا محرما، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، حجة على الخلق، وشرع التوبة، وأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لئلا ينتزل العذاب على عامة الأمة. وبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا، وأنهم وإن هلكوا مهلكا واحدا، فإن الله يبعثهم على نياتهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يغزو جيش الكعبة، حتى إذا كانوا ببداء من الأرض؛ خسف بأولهم وآخرهم. قالت عائشة: يا رسول الله! وفيهم سواهم، ومن ليس منهم؟. قال: يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يعثون على نياتهم). فيكون العذاب حينئذ عاما إذا كان الفساد عاما، وينجي الله المتقين، ويكون النكال خاصا إذا كان المنكر خاصا غير مستعلن، كما قال عز من قائل في خبر قارون: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [50].

